doi.org/10.52866/esj.2021.04.17.02

الدور السياسي للوعاظ في العراق في العصر السلجوقي

د. ليث عبد الوهاب الحيالي
الجامعة العراقية / كلية التربية - قسم التاريخ

مستخلص:

كان للوعاظ والزهاد في العراق عامة وبغداد خاصة الدور الفاعل في توعية جمهور الأمة من خلال نصحهم بتوجيههم نحو المحافظة والتمسك بالقيم الاسلامية للمجتمع البغدادي آنذاك ورفض كل أشكال الظلم والمفاسد التي تقع في مجتمعهم بسبب قد يكون من السلطة السياسية الحاكمة أو وزرائهم أو المتنفذين من أمراء الأطراف الذين عبثوا بأمن البلاد، وكذلك فقد ساهموا برفض الهيمنة على مقدرات الخلافة من جهات خارجية أو داخلية.

الكلمات المفتاحية: الوعاظ، الخليفة، السلطان، طغرلبك، السهروردي، الكيلاني.

Political Role of Preachers in Iraq in the Seljuk Era

Dr. Laith Abdulwahab Al-Hayali
Iraqiya University/ Education College/ History Department

Abstract:

The preachers and ascetics in Iraq in general and Baghdad in particular had an active role in educating the people of the nation by advising them to direct them towards preserving and adhering the Islamic values of the Baghdadi society at that time and reject all forms of injustice and corruption that occurred in their society. It may be from the ruling political authority, their ministers, or influential princes who tampered with the security of the country, and they also contributed to refusing to dominate the caliphate's capabilities from external or internal parties.

المقدمة

مرت الخلافة العباسية خلال القرنين الرابع والخامس بفترة حرجة لم تألفها من قبل عندما سادت الدنيا وقادت العالم الاسلامي ومثلت بغداد عاصمة العباسيين حاضرة عظيمة ومنارا في العلم والأدب لم تلبث أن ضعف دورها بسبب التسلطين البويهي والسلجوقي اللذين سيطرا على مقدرات الخلافة لأكثر من قرنين كاملين من الزمان تعثرت فيها الحياة السياسية والفكرية خاصة في العهد البويهي.

وقد كان لأهل العراق عامة وبغداد خاصة موقف حازم تجاه كل تجاوزات الحكام المتسلطين الذين أرادوا فرض هيمنتهم وتقاليدهم على المجتمع البغدادي وانبرى الوعاظ والزهاد بشكل خاص في تصحيح مسار الأمة من خلال تحذيرهم لكل من تسول له نفسه الحط من هيبة الدولة والمحافظة على قيم المجتمع الاسلامي في بغداد وغيرها من أقاليم الخلافة، وتمكنوا بما لديهم من قدرة معنوية واحترام كبير في المجتمع من التأثير على الخلفاء والوزراء والقواد ووجهاء الدولة أن يحافظوا على تماسك المجتمع من خلال تحذيرهم لكل يحاول أن يعبث بأمنهم ومعتقداتهم الاسلامية والمجتمعية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم الى أربعة مباحث، كان الأول بعنوان الأوضاع السياسية في العراق، والثاني كان تحت عنوان علاقة الوعاظ بالسلطة السياسية، فيما كان المبحث الثالث بعنوان الوعاظ والتأسيس للفكر الاسلامي السياسي أما المبحث الرابع والأخير فكان بعنوان النشاط السياسي للوعاظ. ثم ذكرت خاتمة للبحث وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابته والله الموفق.

المبحث الاول
الاوضاع السياسية في العراق

كانت الحياة السياسية قبل مجيء السلاجقة مضطربة حيث ان الخلافة العباسية تمر بمرحلة حرجة من الضعف والوهن، وبدت تلوح بالافق ظهور دويلات تطالب بشكل صريح او مبطن بالانفصال وتكوين دويلات إما على اساس مذهبي أو عرقي بعد ان كانت الدولة العباسية دولة موحدة، مترامية الاطراف، ويصف المقدسي[1] سعتها وامتدادها بقوله «بانه لم يعد من الميسور ان تقطع ارض الخلافة من الشرق الى الغرب بأقل من عشرة أشهر». وكان هذا من العوامل التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية، وتشجيع الولاة في البلاد النائية أن يتجاوزوا سلطاتهم ويستقلون بشؤون ولاياتهم. فانهارت وشائج الدين التي كانت تربط بين الاجناس المختلفة نتيجة انتشار المذاهب المختلفة، واختلفت اللهجات، وازداد التباين في الاجناس، فكان من الطبيعي ان تنشأ دويلات صغيرة تتسع وتقوى واحيانا تضعف وتأفل تبعا للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت سائدة .

ففي القرن الرابع الهجري بدأ يسطع نجم البويهيون واستطاعوا ان يمتدوا ويحتلوا العراق، وهيمنوا على الخلافة العباسية واصبح الخليفة لعبة بيد البويهيون، فاقداً للسلطة، مسلوب الارادة ينصبونه ويعزلونه ويلحقون به الاذى والاعتداء، وبات الخليفة موظفا عندهم يقلبونه حسب اهوائهم ويصرفون له راتبا كيف ما شاؤا [2]. وشاركوا الخليفة بكل امتيازاته فنقشوا اسمائهم على النقود، وامروا ان يذكر اسمهم مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة وهذا ما فعله عضد الدولة سنة (368هـ/ 979م) حيث أمر بأن يذكر اسمه مع الخليفة

(1) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص94
(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 158

الطائع (363-381هـ/ 974-991م)[1]، كما حذفوا لقب امير المؤمن من الخليفة العباسي بينما يذكر الامير البويهي مع لقبه وكنيته [2].

ولم يبقى للخليفة من الحكم إلا تعين القضاة والخطباء وقوام المساجد، «أي الذي بقى في أيدي العباسيين انما هو امر ديني اعتقادي لا مُلكي دنيوي»[3]. وانكب الخليفة في الحفاظ على النفوذ الديني فصار يؤكده ويسعى الى تثبيت مركزه به. فاستطاع ان يكسب احترام الراي العام واحترام الأهالي عن طريق الضرب على الوتر الديني وما يوجبه من احترام وطاعة الخليفة في السراء والضراء.

لذا ظلت الخلافة تمثل الرمز الديني برغم ضعفها وغير قادرة على ان تأخذ اي دور سياسي واضح ومهم. وهذا الموقف دفع الحكام والسلاطين يحرصون بالظفر على موافقة الخليفة بتوليتهم السلطة حتى تكتسب سلطتهم صفة شرعية [4]. وبشكل عام فأن القرن الخامس الهجري تراكمت فيه كل سلبيات نُظم الحكم السابقة وفي جميع النشاطات السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية بالاضافة الى أزدياد النفوذ الفاطمي في العراق وفارس وما يشكله من تهديد مباشر على الخلافة العباسية .

وفي المشرق الاسلامي برزت دولة السلاجقة واحدث ظهورها تغيراً كبيرا ومهما في مسار التاريخ الاسلامي لتزامن ظهورها مع حالة الضعف والخوار والتجزئه التي أصابت الخلافة العباسية أبان العصر البويهي، وباشر مؤسس هذه الدولة طغرلبك (429-455هـ/ 1037-1063م) بوضع أسس لمشروع بناء دولة قوية تستطيع بسط نفوذها والسيطرة العسكرية والسياسية على الاقاليم المجاورة مع اضفاء الطابع الديني من خلال رفع راية الجهاد ونشر الاسلام، ونجاحه برسم صورة لهم تظهرهم بمظهر منقذي الوحدة الاسلامية وحافظي الاسلام من التداعي والانهيار.

إن ظهور السلاجقة كان امرا حتميا على الخلافة ان تتقبله وتتكيف معه وتسعى للاستفادة منه في ظل أوضاعها المتردية، ولم يكن حال الخليفة العباسي القائم إلا كالمستجير من الرمضاء بالنار، أما طغرلبيك فكان هو الاخر بحاجة الى الظفر برضا واعتراف الخلافة العباسية بصفتها السلطة الدينية العليا في العالم الاسلامي ومصدر الشرعية لاي دولة أو سلطان [5].

وبهذا اجتمعت الارادات، وتلاقت المصالح ، وبودلت الرسائل بين الطرفين[6] ، فكان ثمرتها دخول طغرلبيك بغداد سنة (447هـ/ 1055م)[7]. ولتبدأ مرحلة تاريخية جديدة، حرص فيها طغرلبك بمد جسور الود واظهار الطاعة للخليفة العباسي القائم وتوثيق علاقته به فأمر الخليفة القائم بذكر أسم طغرلبك في الخطبة وأن يكون لقبه (السلطان ركن الدين ابو طالب) يمين امير المؤمنين[8] .وكان من تداعيات دخول طغرل

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، 14/ 260
(2) مسكويه، تجارب الامم وتعاقب الهمم، 6/ 401 ؛ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 17/ 500
(3) البيروني، الاثار الباقية عن القرون الخالية، ص132
(4) امين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، 1/ 28
(5) جمعه، عكاب يوسف، المشروع السلجوقي لتوحيد الامة الاسلامية في عهد السلطان طغرلبك، ص6 .
(6) بعض المؤرخين من ذهب الى ان طغرل هو اول من بادر بارسال رسالة الى الخليفة القائم راجيا فيها الاعتراف بدولته، وذهب اخرون ان الخليفة هو اول من ارسل رسالة الى طغرل طالبا منه المجئ الى بغداد لانقاذ الخلافة وبتحريض من وزيره ابا مسلمة. ينظر: الراوندي، راحة الصدور، ض166-167؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 11/ 47 .
(7) الاصفهاني، عماد الدين محمد، البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، ص288
(8) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص18؛ الراوندي،

بغداد هو إزاحة الوجود السياسي للبويهيين والاطاحة بقمة الهرم البويهي الملك الرحيم الذي ارسل مكبلا الى الري حتى توفي سنة (450هـ/ 1058م)[1]

اقام طغرلبك ببغداد ثلاثة عشر شهراً تعززت خلالها صلاته بالخليفة العباسي، اثر زواج الخليفة من ابنة أخ طغرل خديجة خاتون أبنة داود بن ميكائيل عام (448هـ/ 1056م)، والتي كان قد عقد عليها أولاً ولده ذخيرة الدين محمد بن القائم لكن المنية قد أدركته قبل أتمام الزواج.[2] ولم تكن هذه المصاهرة والتي كانت سياسية بامتياز ببعيدة عن حباكة كل من الوزير السلجوقي منصور بن محمد الكندري[3] والوزير العباسي رئيس الوزراء ابي مسلمة[4]

ولم يتخذ طغرل بغداد عاصمة له بل جعل الري عاصمة له[5]، وهذا كان ديدن كل السلاطين الذين حكموا بعد طغرل حيث لم يتخذوا بغداد مقرا وعاصمة لهم، وقد يعلل هذا بانها هي عاصمة ومقر للخليفة العباسي ولا يصح ان تكون مركزا ومقرا للسلطنة، وقد استخلف طغرل شخصا يحكم العراق يسمى بالعميد، وهو مسؤول عن الادارة السياسية والادارية للعراق، كما عين شخصا اخر لحفظ الامن يعرف بالشحنة [6].

وفي عام (448هـ/ 1056م) اعلن القائد التركي البساسيري العصيان الذي وجدت فيه الدولة الفاطمية ضالتها في تجنيده لدعوتها فاصبح يشكل خطرا على الخلافة العباسية بعد ان وفق في تجنيد بعض الامراء العرب مثل (قريش بن بدران العقيلي) و (نور الدين دبيس بن علي الاسدي) وعقد تحالف معهما لان الوجود السلجوقي قد اصبح يهدد مصالح هؤلاء جميعا[7] .

زحف البساسيري نحو الموصل واستولى عليها وقرأ الخطبة باسم الفاطميين[8]، مما اضطر طغرل الى السير من بغداد قاصداً الموصل حيث تمكن من قمع فتنة البساسيري عام (449هـ/ 1057م) وعين اخاه ابراهيم ينال واليا على الموصل والجزيرة ثم قفل راجعا الى بغداد [9].

وفي عام (450هـ/ 1058م) أعلن ابراهيم ينال العصيان مما اضطر طغرل للخروج اليه لاخماد هذه الفتنه مما مكن البساسيري من الوصول الى بغداد ودخولها بسهولة ويسر من دون اي مقاومة.[10] وهذه احدى المثالب التي تحسب على السلاجقة حيث قام طغرل بتجريد الخليفة من السلطة ومنها منعه من تشكيل جيش خاص بالخلافة .

كان اول ما بادر به البساسيري بعد دخوله بغداد هو قتل الوزير ابن مسلمة[11]، واسر الخليفة القائم وايداعه مع مهارش صاحب حديثه لتفرض عليه الاقامة الجبرية[12] بعد ان اجبر الخليفة على التنازل عن الخلافة

مصدر سابق، ص171

(1) ابي الفداء، الملك المؤيد، تاريخ ابي الفداء، 2/ 113

(2) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 1/ 141؛ العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، 1/ 190

(3) هو ابو نصر منصور بن محمد الكندري، وزر للسلطان طغرلبك لما تمتع به من مؤهلات شخصية مقرونه بقدر كافي من الادارة والحنكة السياسية، مات قتلاً بعد وفاة السلطان طغرل سنة 456هـ. ينظر الاصفهاني، البستان الجامع،1/ 289؛ و ابن خلكان، وفيات الاعيان، 5/ 138

(4) ينظر بحثنا الوزير عميد الملك الكندري ودوره في رسم سياسة السلاجقة، ص21

(5) امين، مصدر سابق، ص10

(6) الخطيب، مصطفى عبدالكريم، معجم المصطلحات والالقاب التاريخية، ص269-270

(7) ابن خلدون، التاريخ، 2/ 292

(8) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،

(9) ابو الفداء، تاريخ ابي الفداء، 2/ 108

(10) ابن الجوزي، المنتظم، 8/ 192

(11) ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 78

(12) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 19/ 94

واقراره باحقية العلويين بالخلافة دون ال العباس[1]، ثم خطب في جامع المنصور ببغداد للمستنصر بالله الخليفة الفاطمي حاكم مصر، وحذف اسم الخليفة العباسي القائم بالله[2]. ولم تسلم بغداد من السلب والنهب والاعتداءات على الناس.

بعدها ارسل الخليفة من مكان اسره برساله الى طغرل يستنجد فيها بالسلطان، فلم يتوان السلطان في الاستجابة لندائه فقفل راجعا الى بغداد بجيشه بعد ان ظفر باخيه ينال فقتله، ودخل بغداد بعد ان فر البساسيري منها فقمع انتفاضته وقتله سنة (451هـ/ 1059م)[3]. وارجع الخليفة العباسي الى دار الخلافة فعظم نفوذ طغرل ولقبه الخليفة بلقب جديد هو (ملك المشرق والمغرب) واجمل عليه بالعطايا والنعم، وفي ذلك تقول تامارا تالبوت[4]: «وقام الخليفة مقابل ذلك بالانعام على صاحبه البطل بالتقدير والتكريم والبسه عبائه واجلسه على عرش رائع مناديا به حاكما للشرق والغرب» .

غدا طغرلبك بعد هذه الانتصارات اكثر تمكينا وقوة، واسبغت فضائله الخليفة والخلافة، واصبح اكثر قربا من تحقيق هدفه، فاقدم طغرل سنة (453هـ/ 1062م) بطلب يد ابنة الخليفة القائم للزواج، وهذا ما لم يقدم عليه احد من قبل، فثارت ثائرة الخليفة رافضا هذا الطلب، وقاومه بصور مختلفة، لكن دهاء وفطنة الوزير السلجوقي الكندري ارغمت الخليفة على قبول هذا الزواج[5].

استغل طغرلبك ضعف الخلافة ووهنها فبدأ يستأثر بجميع السلطات في العراق حتى ما كان يتعلق منها بالخليفة حيث استحوذ على سلطة الخليفة وسلبه امتيازاته واختصاصاته وعمل على حمل الموارد المالية الى الخزانة السلجوقيه بدلاً من خزانة الخلافة وهكذا اصبح الخليفة العباسي مجردا من النفوذ حتى داخل عاصمة الخلافة، ويعيش من اقطاعات مقررة له من قبل السلطان السلجوقي.

وبعد وفاة طغرلبك تناوب على الحكم سلاطين امتازوا بالقوة والنفوذ وكان اخرهم السلطان محمد بن ملكشاه لذلك سميت فترتهم بعصر السلاطين الاقوياء. وقد تعرض الخليفة العباسي المقتدي بالله (467-487هـ/ 1075-1094م) في عهد السلطان ملكشاه لكثير من الامتهان ففي عام (485هـ) توجه السلطان ملكشاه الى بغداد لعزله، فطلب الخليفة منه مهلة عشرة ايام فوافق السلطان على ذلك ولكن شاءت الاقدار ان يتوفى السلطان قبل انقضاء المهلة[6].

وبعد وفاة محمد بن ملكشاه شهدت الساحة السياسية سلسلة من الصراعات بين السلاطين السلاجقة للسيطرة على مقدرات الخلافة. مما انعكس على علاقتهم بالخلفاء، ففقدت الخلافة القوة التي كانت تردع بها امراء الاطراف مما شجع في تحريك اطماع امراء الاطراف ودفعهم الى تحقيق ماربهم والحصول ما امكن لمكاسب اخرى، مما ادى الى مهاجمة بغداد اكثر من مرة.

لقد ادركت الخلافة العباسية ضرورة استغلال حالة الفوضى والضعف والانقسام والصراع بين السلاطين لاسترداد هيبة الخلافة ومكانتها، والتخلص من النفوذ السلجوقي الذي عانت منه بغداد على جميع الصعد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد اجمل البنداري وصف حقيقة ما الت اليه بغداد ابان

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، 2/ 253
(2) م.ن ، 2/ 252
(3) الراوندي، راحة الصدور، ص175
(4) السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص29
(5) ينظر بحثنا (الوزير عميد الملك الكندري ودوره في رسم سياسة السلاجقة)، ص11
(6) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان،19/ 294

الاحتلال السلجوقي بقوله: «كانت السدة الشريفة قد منيت بجور الاعاجم وكان اهون ما عندهم خلاف الخليفة وعناده..ولم تزل بغداد مظلمة مشحونه منهم بالشحن المظلمة.. والدماء مستباحة مهدرة، والخليفة يُقدَرُ عليه، ولا يَقدِر ويُغدَرُ بهِ»[1]. فجرت محاولات جاده وصادقة لانعاش الخلافة العباسية واعادة هيبتها، والاستقلال من الهيمنة السلجوقية التي تطاولت لعقود من الزمن واول هذه المحاولات كانت على يد الخليفة المسترشد بالله (512-529هـ/ 1118-1135م) الذي عمل على التخلص من النفوذ السلجوقي فبدا باعادة بناء قواعد الخلافة واسترداد هيبتها وعن ذلك قال الذهبي[2]: «وجدد المسترشد قواعد الخلافة واحيا رميمها، ونشر عظامها، وهابته الملوك».وبعد اطمانانه على احكام بناء قواعد الخلافة ابدى الخليفة المسترشد انزعاجه من سياسة السلاجقة وتطاولهم على مؤسسة الخلافة واستعداده للحرب ضد السلطان محمود بقوله:»فوضنا امورنا الى ال سلجوق فبغوا علينا فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون»[3]. واستغل غفلة السلاطين المتصارعين ليكون جيشا قادرا على الدفاع عن مصالح العباسيين، وقد استعرض هو وهذا الجيش في زي لم يرى مثله،[4] بعد ان منع العباسيين من تكوين جيش خاص بهم منذ سيطرة البويهيين ومن بعدهم السلاجقة الذين تولوا زمام هذا الامر.

استطاع المسترشد ان يحكم امره على معظم المناطق، وامتدت سلطة الخلافة الى اماكن كانت غير قادرة على الوصول اليها في ظل سيطرة السلاجقة. بيد ان هذه القوة العسكرية الجديدة للعباسيين دفعت السلاجقة الى استهداف الخليفة وبالفعل تم قتله غيله بعد ان اسر من قبل السلطان مسعود[5]. ولكن هذه البذرة التي زرعها المسترشد رعاها وادامها من بعده ابنه الراشد بالله (529- 530هـ/ 1135-1136م) وليمهد بجهوده وجهود ابيه الطريق للمقتفي لان يسدد ضربة قوية للوجود السلجوقي. وقد نجح بتكوين جيش للخلافة بعد ان انتزع موافقة من السلطان مسعود باعادة تأسيس جيش الخلافة، فقد كتب السلطان مسعود: «قد برئت ذمة امير المؤمنين من العهد الذي بيننا، وقد أذنت ان تجد عسكراً وتحتاط لنفسك وللمسلمين فجند»[6].

قاد الخليفة المقتفي الجيوش بنفسه واعاد سيطرة الخلافة على سائر البلاد العراقيه. بل اخذ بالسيطرة على الاقطاعات التي كان يملكها السلاجقة وسار على منواله المستنجد بالله (555 - 566هـ/ 1160-1170م) من بعده. وعن هذا الوضع الجديد للخلافه العباسيه قال حسين امين[7]: «ان الخلافة العباسية قطعت مرحلة كبيرة من مراحل النزاع بينها وبين السلاجقة واعوانهم، فان محاولات الخلفاء المسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد اتت ثمارها، واصبحت الدولة العباسية ذات مركز مرموق، وصار ينظر الى الخليفة نظرة هيبة وتقدير».

وكان الخليفة الناصر لدين الله (575- 622هـ/ 1180-1225م) مسك الختام، فعلى يده سقطت الدولة السلجوقية، وانتهى ملكهم سنة (590هـ)، قال ابن الطقطقي: «وكان يافعة زمانه، ورجل عصره في ايامه انقرضت دولة ال سلجوق بالكلية»[8]. حيث تمكن بسياسته السديدة وهمته العالية من تخليص معظم

(1) البنداري، تاريخ دولة ال سلجوق، ص214
(2) العبر في اخبار من غبر،2/ 432
(3) امين،تاريخ العراق، 1/ 152
(4) ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 35
(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 5/ 256
(6) ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 132 ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 9/ 174
(7) تاريخ العراق،ص161-162
(8) ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص260

العراق من حكم السلاجقة، وتحول وضع الخلافة من الخنوع والخضوع لهيمنة سلاطين السلاجقة، وحال السمع والطاعة ودفع الاتاوات الى الفعل السياسي العسكري الذي تكلل بتمكين الخلفاء من حكم العراق حكما مباشرا ومستقلا.

المبحث الثاني
علاقة الوعاظ بالسلطة السياسية

من المسلم به ان الوعظ كان حاجة ملحة فهو اسلوب دعوي له اهمية بالغة في اصلاح القلوب، وتهذيب النفوس، وصيانة الحياة من الشر، والتحريض على الخير وصيانة المجتمع من عوامل الفساد لذا حرص عليه النبي ﷺ وكان يتخول اصحابه بالموعظة ثم حرصت عليه الاجيال تباعا، وجعلت سنام امره هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال البيهقي[1] رحمه الله:»إن الله تعالى جعل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرق ما بين المؤمنين والمؤمنات» لأنه تكليف ليس بالهين ولا باليسير إذا نظرنا الى طبيعته والى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم ومصالح بعضهم ومنافعهم، وفيهم الظالم الذي يكره العدل وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة، والوقوف في وجه الشر سواء جاء هذا الشر من الحكام المتسلطين أو الأشرار المتسلطين بالاذى. قال ﷺ: (**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**)[2].

وبتوالي السنين والأجيال بدأ الوعاظ يَفتَرون عن هذا المقصد السامي وأذن بظهور وعاظ خلطوا الحابل بالنابل، وصار بعضهم كحاطب ليل لا يدري ما يقول، أصحيح أم باطل، صدق أم كذب، وقد وصفهم ابن الجوزي بقوله:»ان الوعاظ كانوا في قديم الزمان علماء فقهاء.. ثم خست هذه الصناعة، فتعرض لها الجهال ، فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام»[3].لا بل قد افرد ابن الجوزي فصلا خاصا لنقد الوعاظ في كتابه تلبيس ابليس بعنوان (ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص)، وقد اشار فيه الى ما وقع فيه بعض الوعاظ من مخالفات شرعية ومغالطات اخلاقيه، منها وضعهم احاديث ضعيفة بقصد الترغيب والترهيب، وحث الناس على الخير وكفهم عن الشر ثم نسوا قوله ﷺ: (**من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**). ومنهم من يزوق عبارات لا معنى تحتها، ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب، ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير ان يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جراة على المعاصي.[4]

ان الواقع السياسي وأفرازاته الاجتماعية والاقتصادية أدت الى تنشيط حركة الوعاظ ومجالسهم في القرنين الخامس والسادس الهجريين وبسبب تباين واختلاف مشارب واهداف الوعاظ، واختلافهم بالقدرة والموهبة والدراية والفهم ومستوى التعلم، تباينت مواقفهم من السلطة تبعاً لذلك فظهرت مجموعه من الوعاظ لم يمنعها انصرافهم عن الدنيا وانشغالهم بالدين والعلم في هذا العصر من ان تاخذ دورها الريادي في توعية الناس مما دفع الناس للالتفاف حولها وان يكون لمجالسهم الدور المميز في التوجيه والارشاد ولا سيما ان عموم الناس في بغداد والمدن العراقية الاخرى خلال حكم السلاجقه تواقون لسماع المواعظ في المجالس العامة اكثر من ميلهم لسماع العلماء والفقهاء في المدارس بسبب الظلم السياسي والتناقض الاقتصادي والاجتماعي، فأفرزت هذه الظروف طبقة من الوعاظ لا يخافون في الله لومة لائم صداعون بالحق، برغم علمهم انهم قد يكونوا عرضة لغضب السلاطين وانتقامهم كقتل الخليفة المستنجد

(1) شعب الايمان، 6/ 84
(2) المزي، تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف، 3/ 423
(3) ابن الجوزي، تلبيس أبليس، ص11
(4) ابن الجوزي، تلبيس ابليس ، ص111 – 112

بالله الذي ازدهرت سوق المعرفة في أيامه لأديب لامع كابن حمدون[1] بعد سجنه لأنه وجد في كتابه (التذكرة) كتابات توهم غضاضة الدولة [2]. وكذلك حُبسَ العالم الواعظ ابن الجوزي بأمر وزير الخليفة الناصر لدين الله ابن القصاب بسبب طروحاته الفكرية وتصديه للفساد من خلال مواعظه وتآليفه فارسل ابن القصاب اليه من شتمه وأهانه وختم على داره وشتت اهله وصودرت مكتبته ونتاجه العلمي والفكري، ثم وضع في سفينة صغيرة ونفيه الى مدينة واسط وحبسه في بيت ضيق وكان شيخاً مسنا قد جاوز الثمانين ومنعت عنه الناس لمدة خمس سنوات من (سنة 590هـ الى سنة 595هـ) ثم اطلق سراحه ولم يعش بعدها سوى عامين [3].

ولم يألوا هؤلاء الوعاظ جهدا باسداء النصح والارشاد والتذكير للحكام والامراء مما ادى الى كسب قلوب الناس وازدحامهم على مجالسهم ولفت انظار الحكام اليهم فبذلوا كل ما يستطيعون لتقريبهم ومحاولة ارضائهم، ومن هؤلاء الوعاظ الشيخ عبدالقادر الكيلاني رحمه الله فكان يصدع بالحق على المنبر وينكر على الظلمة، ولما ولى الخليفة المقتفي لامر الله القاضي ابن المرخم[4] الظالم قال على المنبر مخاطبا الخليفة :»وليت على المسلمين أظلم الظالمين فما جوابك غداً عند رب العالمين»[5] .وكان الناس تتزاحم على مجلسه «حتى صار مجلسه يضم سبعين الفاً»[6]، ثم تزايد الاقبال عليه حتى ضاقت المدرسة فخرج الى سور بغداد بجانب رباطه. وكان الخليفة المقتفي من الذين يحرصون على حضور مجلس شيخ عبدالقادر[7].

ولم ينفك الواعظ والعالم الامام الغزالي بتوجيه النصح والارشاد الى الحكام وتذكيرهم بمسؤليتهم امام الله، وانهم القدوة للرعية، وان طباع الرعية تجري على عادة ملوكها، وهم محط انظار الناس، فقال للسلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي:»لتعلم ان في كل زمان تقتدي الرعيه بالسلطان، ويعملون بأعماله، ويقتدون بأفعاله».[8] ونبه الامام الغزالي يوما السلطان بما يعانيه الناس وقد اثقلت كواهلهم الضرائب والسلطان في شغل عنهم قائلا له:» أسفاً إن رقاب المسلمين كادت تنقض بالمصائب والضرائب، ورقاب خيلك كادت تنقض بالاطواق الذهبية»[9]

كما وعظ الشيخ احمد بن علي بن احمد الرفاعي[10] الخليفة المستنجد بالله قائلاً: "لا تنظر يا أمير المؤمنين ما عليه القياصرة وملوك المجوس من القوة في ملكهم .. أما انت يا امير المؤمنين فحافظ ثغور وحارس دماء واموال، واياك وظلم العباد، وإذا استوزرك الشيطان ورام نزغك الى الظلم فسل نفسك أن لو كنت مسجونا

(1) ابو المعالي محمد بن ابي سعد الكاتب، الملقب بكافي الكفاءة، كان فاضلا ذا معرفة تامة بالادب والكتابة، وصنف كتاب التذكرة يشتمل على التاريخ والادب والنوادر والاشعار، قتل حبسا سنة 562هـ. ينظر ابن خلكان، مصدر سابق، 4/ 380

(2) الاصفهاني، خريدة القصر ، ص184

(3) ابن خمارويه، شمس الدين محمد بن علي، أنباء الأمراء بأنباء الوزراء، ص112؛ والسلامي، زين الدين،ذيل طبقات الحنابلة، 2/ 504

(4) هو ابو الوفاء يحيى بن سعيد بن المظفر،صار اقضى القضاة ببغداد في ايام المقتفي، وقد وصمه المؤرخون بالظلم والجور والارتشاء، قتل عام (555هـ/ 1160م). ينظر ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 194 ؛ ابن الاثير، الكامل، 10/ 170

(5) التادفي، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر، ص6

(6) العمري، مسالك الابصار، 5/ 104

(7) الجوزي، المنتظم، 10/ 219

(8) الغزالي، التبر المسبوك، ص51

(9) بسطامي، محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ص63-64

(10) ابو العباس احمد بن علي بن احمد الرفاعي، ولد بقرية ام عبيد ببطائح العراق، عرف بصلاحه وانضم اليه خلق الفقراء واخذوا منه الاعتقاد وهم الطائفة الرفاعية، مات سنة578هـ ولم يعقب. ينظر ابن المستوفي، تاريخ اربل، 2،569

أو مظلوماً أو مقهوراً أو مكذوباً عليك ما الذي تريده لنفسك من سلطانك، وعامل الناس بما تريده لنفسك فأنك أن فعلت ذلك وفيت العدل والادمية حقهما".[1]

اما الواعظ والفقيه ابي عمامة [2]فقد وعظ الوزير نظام الملك عند مجيئه الى بغداد، وذكره بانه اجير هذه الامة، وعليه ان لا يدخر جهدا في السعي لمصالح المسلمين، وضرب مثالا لملك عادل بقوله: «وهذا ملك الهند وهو عابد صنم ذهب سمعه فدخل عليه اهل مملكته يعزونه في سمعه، فقال: ما حزني لذهاب هذه الجارحه من بدني،ولكن لصوت المظلوم كيف لا اسمعه فأغيثه، ثم قال: إن كان قد ذهب سمعي فما ذهب بصري، فليؤمر كل ذي ظلامة أن يلبس الاحمر حتى اذا رايته عرفته فانصفته»[3].

وفي سنة (532هـ/ 1137م) اصدر السلطان مسعود امرا بجباية ضريبة العقار فلقي الناس من ذلك شدة، وشكو حالهم، فخرج رجل صالح يقال له ابن الكواز[4] فلقي السلطان بالميدان، فوصف له تذمر الناس من تجاوزاته على الناس، فقال ل: «انت المطالب بما يجري على الناس،فما يكون جوابك، فانظر بين يديك، ولا تكن كمن قيل له اتق الله،أخذته العزة بالاثم»[5] فأمر السلطان باسقاطها .

واما الامام القدوة العابد الواعظ ابو عبدالله محمد بن يحيى بن علي بن مسلمة الزبيدي[6] فلم يكن اقل شأواً من سابقيه في قول الحق ولو كان مرا، ولم يكن يماريء ويتزلف الى الحكام، وقد قال عنه ابن الجوزي: «كان يقول الحق ولو كان مراً، ولا تأخذه في الله لومة لائم»[7]. وقد دخل يوما على الوزير شرف الدين الزينبيَ وعليه خلعة الوزارة، وهم يهنؤنه، فقال: هو ذا يوم عزاءٍ لا يوم هناءٍ. فقيل: ولِمَ، قال:أَهَنّيءُ على لبس الحرير؟ [8]

كما كانت هناك طبقة من الوعاظ ترفض مداهنة الحكام وتتورع عن مجاملتهم وتأنف عن تعظيمهم، واختلطت عندهم كرامة النفس بكرامة الحق، ورفضوا ان يكون وعظهم دائراً في فلك الحكام،فقد سجل وعاظ الاسلام مواقف خالدة في نصح السلاطين وتعكير أمزجتهم بقوارع الوعظ.ومن هؤلاء الواعظ ابو الحسن الغزنوي[9] حيث اقبل الناس عليه وصار له جاه عظيم عند بيت الخلافة والسلطنة معا،وبنت له خاتون زوجة الخليفة المستظهري رباطا، وكان السلطان يزوره والامراء، ورغم هذا حُبِسَ وصودِرَتْ املاكه ثم أخرج ومنع من الوعظ لأنه كان لا يعظم الخلافة كما ينبغي.قال ابن الجوزي:خاطب يوما الخليفة المقتفي

(1) الرفاعي، الوصايا، ص10

(2) ابي عمامه المعمر بن علي الواعظ، الفقيه، المفتي، له خاطر حاد وذهن بغدادي، ولفصاحته كان يحاظر الخليفة المستظهر بالله. ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، 1/ 248 ؛ وسبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 20/ 61

(3) ابن الجوزي، المنتظم، 9/ 174 ؛ ابن العماد، شذرات الذهب، 6/ 25

(4) هو عمر بن احمد بن الكواز الزاهد، العابد، من ساكني الجعفرية،كان من عباد الله الصالحين، يامر بالمعروف وينهى عن المنكر، وله اصحاب واتباع يوافقونه على ذلك. مات سنة(543هـ) ودفن في باب حرب. ينظر:ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، 5/ 29-30

(5) ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، 5/ 28

(6) الامام القدوة العابد الواعظ، نزيل بغداد كان نبيلا غزير الفضل، صدوقا، وصنف في فنون العلم نحوا من مائة مصنف، توفى سنة 555هـ. ينظر المنذري، التكملة لوفيات النقلة،3/ 303؛ القرشي، الجواهر المضية، 2/ 142

(7) ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 198

(8) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 20/ 318-319

(9) هو ابو الحسن علي بن الحسين الشافعي، عرف بالمرؤة والسخاء، له معرفة ودراية بالفقه والتفسير، حدث ببغداد وصار له جاه عظيم، توفي سنة 551هـ. ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين،1/ 404

قائلا:تتولانا وتغفل عنا.ثم انشد:

فما تصنع بالسيف إذا لـم يـك قتـالاً
فغير حلية السيف وصغه لك خلخالاً (1)

وقد نقل عن الواعظ ،ابو البركات يحيى بن عيسى بن ادريس الانباري (ت552هـ) انه كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويتورع ان ياخذ أي شيء من الحكام، حتى انه في احد الايام بلغ به العطش مبلغا فجيء بماء من بعض دور الحكام فرفض ان يشرب .(2)

وبعضهم تعرض للاضطهاد والتنكيل والنفي لرفضهم مهادنة الحكام وتحملوا وِزرَ وتبعات مواقفهم وهذا ما تعرض له الواعظ ابو المؤيد الغزنوي(3) عندما اغلظ القول والنصيحة لوزير الخليفة (سديد الملك) حيث قال له في مجلس عند عميد الدولة جهير: من شرب مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين. ثم قرأ:﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾(4). ثم انشد:

سديد الملك سدت وخضت بحراً
عميق اللج فاحفظ فيه روحك

فأخرج من بغداد لغلبته على قلوب الناس (5).

والحقيقة ان الخلفاء والسلاطين والامراء لم يألوا جهداً في التقرب والتودد للوعاظ اللذين كان لهم قبول واقبال من قبل الجماهير، والذين كان يُحرَص على حضور مجالسهم، وحاولوا بعدة طرق استرضائهم وتكريمهم ابتغاء توظيف هذه المجالس الوعظية للدعاية السياسية وارضاء الناس من خلالهم. ولقد ارفدتنا المصادر التاريخية بصور متعددة عن حرص الحكام والامراء من حضور هذه المجالس الوعظية كمجلس الواعظ والفقيه يوسف الهمذاني (ت 535هـ) الذي كان يعض في بغداد وقد اقبل عليه الناس وتزاحموا على مجلسه فكان له تاثير كبير على الراي العام في بغداد بعد ان جلس في النظامية في بغداد واعظا، وكان المشايخ يعظمون قدره، وتودد اليه الحكام والامراء لما لاقاه من قبول عظيم .(6) ويخبرنا الذهبي في ترجمة الواعظ ابي الخير الطالقاني(7)، انه حين عقد مجلس الوعظ " صارت وجوه الدولة ملتفة اليه، وكثر التعصب له من الامراء والخواص، واحبه العوام ويحضر مجلسه امم ..وحضر وعظه الخليفة المستضيء من وراء ستر "(8)

وكذلك واعظ ذلك العصر المظفر ابو الحسن العبادي(9) الذي سلب قلوب الناس قبل عقولهم وحظي باهتمام السلاطين والخلفاء في بغداد وقد جلس للوعظ في المدرسة النظامية فتكاثر عليه الناس وتاثروا به وعجز المكان عن استيعابهم، حتى انه إذا نزل رباطا فيه بركة ماء كبيرة يتوضأ فيها اقبل الناس عليها ينقلون منها الماء بالقوارير والكيزان تبركا حتى كان يظهر فيها نقصان الماء. ولم يبخل باسداء النصح والارشاد

(1) الذهبي، تاريخ الاسلام، 12/ 33
(2) ابن مفلح، المقصد الارشد، 3/ 101
(3) هو ابو المؤيد عيسى بن عبدالله الغزنوي، الواعظ الكاتب الشاعر، ورد بغداد ووعظ بها، وبع اخراجه منا قصد غزنه ومات في الطريق سنة 498هـ. ينظر: ابن المستوفي، مصدر سابق،2/ 309؛ الحضرمي،قلادة النحر،3/ 566
(4) سورة ابراهيم، اية: 45
(5) سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 19/ 537
(6) م . ن ، 20/ 331
(7) هو احمد بن اسماعيل بن يوسف القزويني الفقيه الشافعي، كان اماما بالتفسير والوعظ، كثير العبادة والصلاة، ولي التدريس بالمدرسة النظامية، ثم عاد الى قزوين ومات فيها سنة 590هـ. ينظر: ابن ماكولا، الاكمال، 2/ 382؛ الداوودي، طبقات المفسرين1/ 32
(8) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 21/ 193
(9) هو المظفر بن اردشير ابو منصور العبادي، الواعظ دخل بغداد ووعظ بها، كان احسن الناس كلاما وارشقهم عبارة، ترعرع في هذا الفن الى ان صار ممن يضرب به المثل في حسن الصنعة، توفى سنة 547هـ. ينظر: السبكي، طبقات الشافعية7/ 299؛ ابن الملقن،العقد المذهب،ص510

للسلاطين والامراء، وكان له قبول بينهم، وقد اقبل عليه الخليفة المقتفي لامر الله ورفعه وبجله، وامره بالجلوس في جامع القصر[1] .

كما سطع نجم العالم والمؤرخ والواعظ ابن الجوزي وقد هام الناس والملوك بمواعظه وطريقه القائه وحسن اختياره لالفاضه وفصاحته وبلاغته فتكالبوا على مجلسه وغص بهم المكان فكانت مجالسه من اكثر المجالس حضوراً، حتى كان عشرات الالاف يتزاحمون لحضور مجلسه ،بل بعضهم قد بالغ في تقدير حظور الناس فقال:انه كان يحضر مجلسه مائة الف. وكان محط اهتمام الخلفاء وتشجيعهم له حتى ان الخليفة المستضئ بالله اكرمه واعطاه مالاً بعد احدى خطبه،وكان يدعى لالقاء مواعظه في باحة قصر الخلافة ليتمكن الخليفة واهل بيته من سماع المواعظ من مكان مستور [2].

وهناك حقيقه يجدر ان يشار اليها هي ان معظم الخلفاء كانوا يتصدون بحزم لكل من شط وشذ من الوعاظ الذين يثيرون الفتن الطائفيه منها او المذهبية او العرقيه والتي تفضي الى خلخلة النسيج الاجتماعي البغدادي، وكانوا يضربون بيد من حديد على مثل هؤلاء الوعاظ ويمنعونهم من الوعظ ويخرجوهم من الاربطة مهما علت منزلة هذا الواعظ عند الناس او كثر مريديه، ولا يترددون الى نفيه ان استدعى الامر الى ذلك.

ومن الذين طالتهم عقوبة السلاطين او الحكام من هؤلاء الوعاظ الواعظ الشهاب محمد الطوسي[3] الذي اثار الناس عليه بقوله:" ان ابن ملجم لم يكفر بقتل الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه)"[4] مما ادى الى سخط الناس عليه،وهاجوا عليه ورموه بالاجر، فأمر الخليفة المستضيء لامر الله بان لا يجلس للوعظ ثانية، ولا يخرج من رباطه، ثم امر بنفيه الى مصر.[5] كما ان الواعظ ابو القاسم القشيري[6] لما عقد مجالس الوعظ ببغداد وظهر له القبول العظيم أظهر مذهب الاشعري، وقامت سوق الفتنه بينه وبين الحنابلة وثار العوام الى حد التقاتل بينهمُ فأمر الوزير نظام الملك بأن يأمره بالرجوع الى وطنه، فأحضره نظام الملك وأكرمه وأمره بلزوم وطنه[7]

ويذكر ابن الجوزي في المنتظم[8] ان الواعظ الحسن بن ابي بكر النيسابوري (538هـ) الذي كان يجلس سنة (538هـ) في جامع القصر وجامع المنصور ويلعن الاشعري جهراً، ويقول: كن شافعياً ولا تكن اشعرياً وكن حنفياً ولا تكن معتزلياً، وكن حنبلياً ولا تكن مشبهاً. فاصاب فتنه، فرجم ببغداد مرارا، ثم اخرجه السلطان من بغداد .

وذكر الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات[9] ان الواعظ ابو الفتوح محمد بن الفضل بن محمد الاسفراييني من اهل خراسان اقام ببغداد يعظ، فبدأ يتكلم بما يسقط حرمة المصحف من قلوب العوام فافتتن به خلق، وأفضى الحال الى النهب والضرب والسلب واستحلال

(1) ابن الاثير، مصدر سابق،9/ 345؛ الاصفهاني، دولة ال سلجوق، ص196

(2) الذهبي، تاريخ الاسلام، 40/ 6

(3) هو الشهاب ابي الفتح محمد بن محمود الطوسي، كان جامعا للفنون، حلو العبارة فصيحا، قدم بغداد ووعظ بها وزاد قدره، اتى مصر وتردد اليه الفقهاء. توفى سنة 596هـ. ينظر: المقريزي، المقفى الكبير،7/ 78؛الذهبي، سير اعلام النبلاء،21/ 387

(4) ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 219

(5) اليافعي، مراة الجنان، 3/ 194

(6) هو ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، كان اماما فقيها اصوليا مفسرا واتقن علم التصوف، حدث ببغداد وكان حسن الموعظة، توفى في نيسابور سنة 465هـ. ينظر:الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 12/ 366؛ابن خلكان،مصدر سابق،3/ 207

(7) صلاح الدين، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، 2/ 311

(8) 18/ 36 ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 20/ 141

(9) 4/ 229

الاموال والدماء فمنع الخليفة المسترشد ابي الفتوح الاسفراييني من الجلوس، وامر ان لا يقيم ببغداد .

ومن الوعاظ من طبقت شهرته الافاق باثارة الفتن وتأليب الناس مثل الواعظ ابو طالب عبدالله بن اسماعيل (ت634هـ) حيث وصفه الذهبي[1] بقوله: "وما أقام ببلدة إلا انزُعِجَ منه لسوء سيرته " مما دفع الخليفة ان يأمر بضربه مائة عصا وقطع لسانه وبحمله الى المارستان العضدي وحبس في حجرة المجانين[2]

المبحث الثالث
الوعاظ والتأسيس
للفكر الاسلامي السياسي

إن الاضطراب السياسي وعدم الاستقرار الاجتماعي والفكري الذي ساد في تلك الفترة شكل أرضية خصبة للمؤرخين والمفكرين والعلماء الذين بدورهم لم يبخلوا على هذه الامة بنتاجهم الفكري، وليرفدوا الحضارة الاسلامية بتراث يفتخر به على مر العصور. وليلقموا من وصف تاريخنا بانه لا يتجاوز سير وتراجم للعظماء والحكام والعلماء حجرا .

حيث ان الفكر السياسي الاسلامي بدأ بالوعظ ثم رويداً رويداً تبلور ليؤسس لنوع من الكتابات عرفت بكتب (الوعظ والنصيحة) وكان من رواد هذا النوع من الكتابات مجموعه من جهابذة العلماء الوعاظ تميزوا عن اقرانهم علما وفقها ودراية ليأصلوا للفكر السياسي الاسلامي قواعد وأسس ومناهج اوضحت فيها طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وقضية العدل والظلم، وضرورة الطاعة للحاكم، وترسيخ مفهوم السلطة ومسؤليات الخليفة تجاه الرعية واتجاه الامراء والوزراء والعاملين في معيته، فكتب الماوردي (ت 450 هـ) في كتابه (درر السلوك في سياسة الملوك)عن نظريته حول شرعية جديدة للخلافة من خلال اعادة تاسيس نظام الخلافة مع مجيء السلاجقة.[3]

ولم يغب عن تلك المؤلفات نَفَسْ الوعظ وإيمائاتِهِ فصبت معظمها في تذكير الحاكم بالعدل والانصاف والابتعاد عن الظلم، وسياسة الرعية ومداراتهم. بل اعتبرت ان تقديم النصح للحاكم كي يحقق العدل هو اقصى واجب على العلماء لذا نرى ان بعض الكتب الفت الى حاكم بعينه او خليفة او وزير مثال ذلك كتاب (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) للامام الغزالي (ت 505هـ) والذي الفه للسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه والف الحميدي،ابن ابي نصر(ت488هـ)، كتاب (الذهب السبوك في وعظ الملوك) والف امام الحرمين الامام الجويني (ت478هـ) كتاب (غياث الامم في الثيات الظلم) للوزير السلجوقي نظام الملك (ت485هـ)[4]، برغم ان هذا الاخير قدم عصارة تجاربه في الحكم والادارة من خلال مؤلفه (سياست نامة) او (سير الملوك) في النظام السياسي الاسلامي ضمنه أراءه في السياسة والحكم وأسس قيام الدولة وادارتها الناجحة، وتنظيم شؤون الحكم مشفوعة بتجاربه الشخصية وسير الملوك.ثم الف ابن الجوزي كتاب (المصباح المضيء في خلافة المستضيء).

وبرغم ان هذه المصنفات جميعها في الفكر السياسي الاسلامي لكنها عالجت محاور محددة ولم تستطيع ان

(1) تاريخ الاسلام ن 14/ 140

(2) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعه ، ص3

(3) شايمو ياما، الدين والسياسة في الحقبة السلجوقيه، ص175

(4) بالاضافة لعمله في الوزارة الا انه كان عالما واعضا ففي احدى مواعظه للسلطان ملكشاه حين استدعاه لوصول وشاية له ان نظام الملك يصرف ويبذخ على المدارس النظامية، قال فيها: "أنا اقمت لك جيشا يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك قامت جيوش الليل على اقدمها صفوفا بين يدي ربهم، فارسلوا دموعهم واطلقوا السنتهم بالدعاء لك ولجيوشك.. فانت وجيوشك في خفاراتهم تعيشون، وبدعائهم تتشبثون وببركتهم تمطرون وترزقون". ينظر الصلابي دولة السلاجقة، ص91

تلج في منظومة معالجة اشكالية اليه اختيار الخليفة بدلا عن تنصيب الخليفة في اعلى هرم السلطه عن طريق الوراثة العقيم،برغم ان الموروث السياسي عن فترة النبوة والخلافة الراشده ليس بعاقر عن أرفاد العلماء والمنظرين في الفكر السياسي الاسلامي في كيفية اختيار الخليفة بدل النظام البائس الذي جعل الوراثة هي الاساس في اختيار الخليفة .

كما ان جميع هذه المصنفات لم تبتعد في مضامينها عن وجوب طاعة الرعية للحاكم في السراء والضراء مهما شط الحاكم وانحرف، وجار وظلم، بحجة الخوف من الفتنه والفساد واضطراب الاحوال ومع من قال:" سلطان غشوم خير من فتنة تدوم "[1]ولم يخرج من هذا الثوب الا الامام ابو حامد الغزالي في بعض طروحاته وارائه السياسيه، فاستطاع ان يشرع لالية جديدة في تعامل المحكومين مع الحكام تعتبر نقطة انطلاق للاصلاح السياسي، وهي دعوته الى العصيان المدني اتجاه السلاطين الظلمة ان لم يرتدعوا بالموعظة والنصيحة واعتبر أن الدافع الرئيسي لوجوب مقاطعة السلاطين هو الظلم الذي أقترفوه بحق الأمة وعبر عن ذلك بقوله: " ان السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو أما معزول أو واجب العزل " [2]

وقد حدد خطوات هذا العصيان وامكانية ان يكون بصور متعددة[3] منها تحريم التعامل التجاري مع السلاطين الظلمة حيث أعتبر الغزالي ان التعامل التجاري معهم هو إعانة لهم باستمرار ظلمهم للرعية "فأما بيع الدراهم والدنانير .. مكروه لما فيها من أعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالاموال والدواب وسائر الأسباب"[4] كما حرم أي شكل من اشكال النشاط التجاري في الاسواق التي بناها السلاطين الظلمة لانها في رأيه أنها تعينهم على التمادي بظلمهم،حيث قال: "الاسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها.. فإن ذلك إعانة لسكناهم وتكثيراً لكراء حوانيتهم"[5] وكذلك حرم التعامل مع قضاة السلاطين وخدمهم ووجوب مقاطعتهم لأن " معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد"[6]..

واللافت للنظر أن الغزالي لم يقف في معارضته لسياسات السلاطين الظلمة عند حد التنظير بل تعداها بتطبيق ما دعى اليه وجعله ممارسة واقعية وفعلية في تعامله مع الحكام، وعندما ارسل اليه الوزير احمد بن نظام الملك عام (504هـ) للتدريس في مدارس نظامية بغداد اعتذر ورفض الغزالي هذا الطلب وحرر رسالة بعثها الى الوزير متضمنتاً بعض ما قطعه وتعهد به على نفسه قائلاً فيها : « أني نذرت .. ألا أقبل مالاً من سلطان أو سلطاني وألا أخرج للسلام على سلطان أو سلطاني... ولا مناص من السلام على دار الخلافة بها، وأنا لم أمثل للسلام على أحد في بغداد »[7] .

وقد وضع الغزالي يده في وقت مبكر على بيت الداء حين اعتبر العلماء هم سبب فساد الحكام وتماديهم بظلمهم بتزين الباطل باعينهم وجعله حقا "ففساد الملوك بفساد العلماء"[8].فأغلظ القول لهم،وكان عنيفا في تحريضهم على ان لا يداهنوا الحكام، والوقوف منهم موقف الآمر الناهي، مطالبا اياهم بقول الحق ولا

(1) السري،احمد علي، ابن الجوزي والوعظ السياسي،ص194
(2) الغزالي،احياء علوم الدين ، 2/ 140
(3) لتفاصيل اكثر ينظر الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص148 – 151
(4) المصدر نفسه، 2/ 150
(5) المصدر نفسه، 2/ 149–150
(6) الغزالي، احياء، 2/ 150
(7) مريزن،سعيد مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، ص528
(8) الغزالي، مصدر سابق، 2/ 357

تأخذهم في الله لومة لائم " أما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا. وأن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم "[1].

وقد شاطر الشيخ عبدالقادر الكيلاني الامام الغزالي في تشخيصه هذا ولم يبتعد في مواعظه عن الاهداف التي ارتجاها الغزالي في مؤلفاته، فعاب على العلماء تقربهم من السلاطين بدافع الطمع مما في أيدي الحكام لأن هذا سيؤدي الى ثني العلماء عن القيام بدورهم في نقد الحكام وأيقاف تجاوزاتهم، وما يجب أن تقوم عليه سياستهم . فقال في موعظة ألقاها في المدرسة: "يا علماء يا زهاد كم تنافقون الملوك والسلاطين حتى تأخذوا منهم حطام الدنيا وشهواتها ولذاتها؟ أنتم وأكثر الملوك في هذا الزمان ظلمة خونة "[2].

واعتبر ان الوقوف بوجه الطغاة والظلمة من الحكام هي مسألة عقديه، وان لب العقيدة الاسلامية ينصب في تنزيه الله وافراده بالعباده وتعظيمه وعدم الخوف من الطغاة والظلمة والانصياع لهم مهما بلغت قوتهم ، فذكر الناس في احد مجالسه قائلا :" صارت الملوك لكثير من الخلق الهه.قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة ألهة .ويحكم جعلتم الفرع أصلا، المرزوق رازقا، والمملوك مالكاً، والفقير غنياً، والعاجز قوياً، والميت حياً، إذا عظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنيائها ونسيت الله عز وجل ولم تعظمه، فحكمك حكم من عبد الاصنام تصير من عظمت صنمك "[3] .

ولا ننسى الدور الكبير للواعظ ابن الجوزي ومحاولاته لاصلاح الوضع السياسي القائم والذي استفزه بأشكالاته وترديه فتأصلت في نفسه رغبة ملحة في محاولة اصلاح هذا الوضع باستغلال دوره كمرب وكواعظ للوصول الى غايته وخاصة أن مجالسه الوعظيه كانت تحفل بالخلفاء والسلاطين والامراء وكبار رجال الدولة من اهل الحل والعقد .

ولم يكتف ابن الجوزي بخطبه الوعظية كاداة للتغير بل اتجه نحو الكتابة والتاليف لاعتقاده بقوة تاثيرها فألف كتابا سماه (الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء) أوضح فيه واجبات الحاكم الاساسية اتجاه الرعية، وان لا يغفل ان يحرص ان تكون بطانته للشورى والنظر من العلماء المخلصين .والملاحظ ان ابن الجوزي كان يؤكد على شرعية خلافة بني العباس ودعم هذه الشرعية بالادلة لمواجهة المتغيرات السياسية وظهور دول مستقلة عن سلطة الخلافة[4]

المبحث الرابع
النشاط السياسي للوعاظ

يتمثل النشاط السياسي للوعاظ بمحورين، **المحور الاول** هو نشاط جماعي وفعل سياسي واجتماعي يتناسب مع اهمية ومتطلبات الحدث السياسي وقد تجلى هذا بصورة واضحة في الازمات السياسية حيث كان للوعاظ الحظ الاوفر باخذ زمام المبادرة والمساهمة مع الاهالي بدفع الخطر حين تعرضت الخلافة وبغداد الى تهديد حقيقي ففي سنة (514هـ) قام الوعاظ مع الاهالي بالدفاع عن بغداد حين شن دبيس بن سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة هجوما على بغداد بعد ان خلع عنه طاعة الخليفة المسترشد بالله وتمرد على الخلافة، فاغار على بغداد واصاب اهلها الهلع مما دفع الخليفة ان يعلن النفير وان يقود الجيش بنفسه، وكان دور الوعاظ كبيراً في تاليب الناس واستنفارهم وتهيج الراي العام على دبيس والالتفاف حول الخليفة المسترشد لافشال تمرد دبيس.

(1) المصدر نفسه .

(2) الكيلاني ، عبدالقادر ، الفتح الرباني والفيض الرحماني، ص224

(3) الكيلاني، جمال الدين، كتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، ص213

(4) السري، مرجع سابق، ص185

فرافقوا الخليفة وزينوا له الجهاد وبينوا فضله، وقرأوا عليه القران والتسبيح والذكر والدعاء الماثور، وذكر الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد لما خرج المسترشد بالله متوجها لحرب دبيس بن صدقة رافقه العالم والواعظ ابو الفرج محمد بن عمر بن مكي وقرا عليه احاديث وهو يسير في مركبه من المدائن الى الحلة وسمعها جماعة من الخدم والحواشي [1].

كما شغل الوعاظ مساحة كبيرة في اذكاء روح الجهاد في الحروب الصليبية، هذه الحرب التي امتدت الى قرنين من الزمان (من سنة 490هـ الى 690هـ) بسبب خلافات وتناحر القوى السياسية فيما بينها، وفيها سيطر الصليبيون على مدن الشام مدينة تلوه اخرى حتى دخل الصليبيون القدس سنة (492هـ/ 1099م) وسيطروا على المسجد الاقصى فعاثوا به فسادا ونهبوا محتوياته ،ثم عملوا سيوفهم بالمسلمين سبعة ايام ليقتلوا اكثر من سبعين الف نفس منهم جماعة كثيرة من ائمة المسلمين وساداتهم وزهادهم ثم حصروا جميع من في القدس من المسلمين بداخل المسجد الشريف واشترطوا عليهم إنهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة ايام قتلوهم عن اخرهم [2].

فنفر حشد من العلماء من اهل الشام وتوجهوا الى الخليفة المستظهر بالله[3] يثيرون فيه النخوة لنجدة المسلمين وانقاذ المسجد الاقصى من براثن الصليبين، فندب الخليفة المستظهر بالله ارسال نخبة من علماء ووعاظ بغداد منهم ابو محمد الدامغاني[4]، وابو بكر الشاشي[5]، وابو القاسم الزنجاني[6] وابو الوفاء بن عقيل[7]، وابو سعد الحلواني[8] الى السلاطين والامراء المسلمين ليثيروا فيهم مشاعر النصرة ومساندة اخوتهم من اهل الشام للجهاد معهم ضد الصليبين[9]. ولكن حالة الانقسام والتنافر السياسي القت بظلالها على جهود هذه النخبة من العلماء فلم يكتب لهم النجاح في مهمتهم. والاصح ان هؤلاء الحكام والامراء اصيبوا بتبلد الاحساس ولم يستشعروا عظم المصيبة. وتقدم لنا المصادر صورة قبيحه من تقاعس هؤلاء الحكام اتجاه الغزو الصليبي والتتاري لارض المسلمين، فحين جاء

(1) الخطيب،تاريخ بغداد، 15/ 46

(2) العليمي، عبدالرحمن بن محمد، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 1/ 307

(3) وقع العالم ابن خلدون في الوهم فذكر اسم الخليفة المقتدي بدل الخليفة المستظهر في تاريخه. 5/ 25. وهذا يناقض الحقائق التاريخية فمن المعلوم ان الصليبيون دخلوا بيت المقدس في سنة 492هـ بينما الخليفة المقتدي توفى سنة 487هـ.

(4) هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الدامغاني، ثاني افراد اسرة ال دامغاني، تولى منصب قاضي القضاة وهو اصغر قاضي سنا لما عرف عنه بحزمه وسداد رايه،تقلد القضاء لثلاثة خلفاء المقتدي المستظهر المسترشد. ولقب بتاج القضاة، توفى سنة 513هـ.ينظر: القرشي، الجواهر المضية،1/ 188؛الحضرمي، قلادة النحر،4/ 31

(5) هو ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين الشاشي،الامام الشافعي ولد سنة 427هـ،وصحب الامام الزاهد ابا اسحاق الشيرازي، ولقب بفخر الاسلام لحسن فتواه وبعد نظره،توفى سنة 507هـ ببغداد. ينظر:ابن صلاح، طبقات الفقهاءالشافعية،85،1؛ ابن نقطة، اكمال الاكمال،3/ 488

(6) هو ابو القاسم يوسف بن علي بن محمد بن الحسين الزنجاني، ولد سنة 439هـ وتفقه على ابي اسحاق الشيرازي، واصبح اماما في الفقه،توفى سنة 500هـ. ينظر: ابن الملقن، العقد المُذَّهَب في طبقات حملة المَذْهَب، ص80

(7) هو ابو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، ولد عام 430هـ، دينا حافظا للحدود وله الفطنة البغدادية، له مؤلف اسمه (الفنون) يزيد عن اربعمائة مجلد، توفى ببغداد سنة 513هـ. ينظر: ابن الجوزي، مناقب الامام احمد، ص700؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء،19/ 443

(8) هو ابو سعد يحيى بن علي الحلواني، درس في مدرسة النظامية ببغداد بعد عزل ابي منصور ابن الرزاز.ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، 14/ 16

(9) ابن الاثير، مصدر سابق، 8/ 425

وزير الخليفة الناصر لدين الله الى الخليفة ليخبره ان التتار قد ملكت البلاد وقتلت المسلمين، قال له الناصر لدين الله:" دعني أنا في شيء أهم من ذلك، طيرتي البلقاء لي ثلاثة أيام ما رأيتها"[1].

وظلت مشاعر علماء ووعاظ بغداد مرتبطة بمشاعر اخوتهم المجاهدين في الشام وخاصة بعد ان تمدد الاحتلال الصليبي واحتل معظم مدن الشام مما دفع مجموعة منهم من التضامن والاستجابة لجماعة من اهل حلب جاؤوا الى بغداد مستنفرين على الصليبين، ولدفع الخليفة والسلطان السلجوقي للتحرك لنجدة اهل حلب قاموا بالتجمع في جامع السلطان، فنتج عن ذلك صدور امر السلطان محمد بن ملكشاه للامراء بالاستعداد والتجهز للجهاد،حيث سير حملة سنة 505هـ/ 1111م تمكنت من فتح عدد من الحصون وقتل عدد من الصليبين[2].

اما **المحور الثاني** فقد تجسد في نشاط بعض الوعاظ السياسي على المستوى الفردي أما بدافع الغيرة على الدين والاسلام والمتمثل ببيضة الخلافة وبالتالي كان الوقوف اتجاه التيارات الفكرية والعقدية المخالفة امرا واجبا في نظرهم فنافحوا عن الخلافة بكل ما اوتوا من علم وفهم وتدبير لتفنيد افكار تلك الجماعات وتفتيت جمعها وتحجيم دورها.

وما لا يخفى ان في تلك الفترة ظهرت حركة الباطنية متزامنة مع النشاط الصليبي فنمت وازدهرت وتشعبت انشطتها السياسية منها والفكرية، وأثارة الفتن والقلاقل، وقتلت عدد من الحكام والوزراء والعلماء، واصابت سمومها في احايين كثيرة راس الهرم من السلطة وضربت اطنابها اصقاع العالم الاسلامي مما حدا بالعالم والواعظ الامام الغزالي ان ينبري لها ويدفع الحجة بالحجة. ولنترك الغزالي يصف لنا منهجيته في ذلك حيث قال:» فابتدأت بطلب كتبهم، وجمع مقالاتهم. وكذلك قد بلغني بعض كلماتهم المستحدثة التي ولدتها خواطر أهل العصر الا على المنهاج المعهود من سلفهم، فجمعت تلك الكلمات، ورتبتها ترتيبا محكما مقارنا للتحقيق، واستوفيت الجواب عنها «[3].فألف الغزالي للرد على الباطنية كتابا أسماه (المستظهري) وكان ذلك باقتراح الخليفة المستظهر بالله حين كان الغزالي يدرس في النظامية . كما ألف كذلك كتابا اسماه (فضائح الباطنية).

وذكر ابن الجوزي أن السلطان ملكشاه قد تأثر بافكار الباطنية نتيجة اختلاطه ببعض منظريهم فأقدم العالم والواعظ ابن عقيل بارسال رسالة الى السلطان ملكشاه يعظه فيها ويحذره ويبين فساد افكارهم فلما قرئها السلطان تاثر بها وتنصل عنهم [4].

وكان من الوعاظ من يدرك عظم خطب الفتن على العباد والبلاد فينأى بنفسه عنها لؤدها مثلما فعل الواعظ ابو الوفاء علي بن عقيل[5] عندما احتدمت الفتن في سنة 475هـ بين الحنابلة والاشاعرة، ترك الوعظ واقتصر على التدريس حتى لا يكون طرفا في أثارة الفتنة [6]

ومن المهام السياسية التي كلف بها الوعاظ هي منصب المستشار في تولية السلطان او الخليفة او من عدمه، وذلك لاسباغ الهيبة الشرعية على تنصيبهم ،فقد ذكر ابن الاثير في تاريخه[7] ان السلطان ملكشاه عندما مات كتمت زوجته تركان خاتون موته، وأرسلت الى الامراء سرا فارضتهم واستحلفتهم لتولية ابنها محمود وعمره اربع سنين واشهر فاجابوها وارسلت الى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها ايضاً فأجابها وشرط ان يكون

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 6/ 262
(2) الذهبي، تاريخ الاسلام، 11/ 13
(3) المنقذ من الظلال، ص91
(4) المنتظم، 16/ 312-313
(5) سبق ان ترجم له في الصفحة السابقة
(6) م.ن . 17/ 181
(7) الكامل، 8/ 363

اسم السلطنة لولدها والخطبة له ،ولما طلب راي الغزالي أنفرد بعدم جواز توليته لصغر سنه في الوقت الذي أجمع العلماء على ذلك.والامر جرى كما افتى الغزالي وتولى بركيارق السلطنة.

كما كلف بعض الوعاظ باخذ البيعة للخليفة او حضور بيعته للتاكيد على ان هذه الخلافة دينيه فعندما قتل الخليفة المسترشد بالله بويع ولده الراشد بالله وحضر بيعته أحد وعشرون رجلاً من أولاد الخلفاء وبايع له الشيخ ابو النجيب السهروردي[1]، ووعظه، وبالغ في الموعظة[2]

ومن الوعاظ من عزز بسلوكه هيبة الخلافة ومكانتها فحين تقدم السلطان مسعود الى الشيخ ابو النجيب السهروردي للتدريس في المدرسة النظامية رفض دون ابراز موافقة الخليفة المقتفي لامر الله لانه تعيين مدرسي المدرسة والقضاة هو من اختصاصت الخليفة وحده ،ومن واجباته الدينية وتكليف السلطان مسعود للسهروردي ما هي إلا محاولة من سلاطين السلاجقه لإنتزاع السلطة الدينية من الخليفة، وان موقف السهروردي هذا أرغم السلطان على استحصال موافقة الخليفة في ذلك[3]. ومن المفيد أن أذكر ان الشيخ ابو النجيب السهروردي كان قد وفر الملاذ الامن (اللجوء السياسي) في رباطه لكل من فر خائفا من السلطان او الخليفة، قال الذهبي: »فصار حماً لمن لجأ اليه من الخائفين يجير من الخليفة والسلطان «[4]

وقد دفع تمتع الوعاظ بالعلم والدين والسجايا الحميدة السلاطين والخلفاء بأسناد مهام السفارات اليهم حاملين اما رسائل تنطوي على طلب الطاعة او طلب النجدة او تحذير أو المصالحة، واحيانا تسكت المصادر عن ذكر طبيعة تلك السفارات مثل سفارة الواعظ عبدالرحمن بن اسماعيل النيسابوري حيث قال عنه الصفدي[5]:" كان يشار اليه في حسن الراي والتدبير، ترسل الى الشام وكانت الملوك تستغني برايه " وتختلف طبيعة هذه السفارات حسب نوع المهمه التي يكلفون بها، حتى قيل ان الخليفة المقتدي تزوج بابنة السلطان ملكشاه بسفارة شيخ الشافعية ابي اسحاق[6] وفي سنة (475هـ) ارسل الخليفة المقتدي الشيخ ابي اسحاق الشيرازي[7] برسالة الى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك تتضمن الشكوى من عميد العراق ابي الفتح بن ابي الليث فاستقبله السلطان واكرمه واجيب الى جميع ما التمسه، ولما عاد أهين العميد ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة [8].

أما الواعظ الغزنوي فقد أرسله الخليفة المقتفي لأمر الله الى امراء السلاجقة الذين زحفوا الى بغداد للسيطرة عليها سنة (543هـ/ 1148م) فنهبوا المناطق المحيطة ببغداد فوبخهم الغزنوي وقبح عملهم قائلاً لهم: »لو

(1) الواعظ ابو النجيب عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي، الزاهد، المفتي، قدم بغداد ودَرَسَ في النظامية ودّرسَ فيها واصبح له القبول عند الملوك، بنى خربة والى جانبه مدرسة، توفى سنة (563هـ) ودفن في مدرسته. ينظرابن المستوفي، تاريخ اربل،1/ 107 ؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 12/ 300

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 5/ 71

(3) مصطاف، ثامر نعمان، الراي العام في العراق في عصر السيطرة السلجوقية، ص148

(4) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 20/ 477

(5) الوافي بالوفيات ، 18/ 73

(6) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 14/ 125

(7) هو ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ابو اسحاق،الفقيه الواعظ الشافعي الاصولي، ولد سنة 393هـ وانتشر علمه في الافاق واكثر علماء الامصار من تلامذته، توفى ببغداد سنة 476هـ. ينظر: ابن الساعي، الدر الثمين ،ص248؛ النووي، تهذيب الاسماء،2/ 172

(8) ابو اسحق الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص10؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، 23/ 246

جاء الافرنج لم يفعلوا هذا»[1]. كما أرسل الخليفة المقتفي بالله الواعظ المنصور بن اردشير العبادي ليسعى في الصلح بين السلطان ملكشاه بن محمود وبدر الحويزي، فمضى واصلح بينهما[2] .

وكذلك أرسل الخليفة الناصر لدين الله الواعظ عمر السهروردي[3] الى السلطان علاء الدين كيقباد ليرده عن دخول بغداد ليكون له بها دار السلطنه، فوعظه وذكره فيها بفضل بني العباس، وعواقب فعله فأرتدع ولم يدخل بغداد[4] .

الخاتمــة

تبين من خلال هذا البحث ان الوعاظ في العراق في عصر السيطرة السلجوقيه لعبوا دورا كبيرا في النشاطات السياسية، في وقت كانت تعاني الخلافة العباسية من التفكك والضعف.

كما كشف البحث ان الوعاظ لم يقتصر نشاطهم على الوعظ الديني فقط فقد كانت لهم صولات وجولات مع الحكام وقد افزعوا الحكام بمقاريع وعظهم وانتزعوا منهم الاحترام والتوقير .

ومن الامور المهمة التي توصل لها البحث هو ان للوعاظ دور كبير في التاصيل للفكر السياسي الاسلامي، ولم يفتروا في الحرص على اصلاح الوضع السياسي القائم.كما اسهموا وبشكل فاعل في النشاطات السياسية المختلفة مثل حث الناس والخلفاء في الوقوف بوجه الازمات وبعث روح الجهاد في نفوسهم كما كلفوا من قبل الحكام كسفراء لهم ولمهام مختلفة، كما حرص الحكام على حضورهم في البيعة والتنصيب ،وكثير منهم كانوا كمستشاريين للخلفاء والسلاطين .

(1) ابن الجوزي،المنتظم، 18/ 65

(2) سبط ابن الجوزي، مصدر سابق، 20/ 428

(3) هو شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردي، ولد سنة 539هـ وهومن اعلام التصوف، ومؤسس الطريقة السهروردیه الصوفية، وانتهت اليه الرئاسة في تربية المريدين، اخذ عن عمه ابو النجيب الفقه والوعظ والتصوف، توفى في بغداد سنة 632هـ، ودفن في المقبرة الوردية. ينظر: ابن الساعي، الدر الثمين في اسماء المصنفين، ص17؛ المقريزي، المقفى الكبير، 4/ 379؛ الذهبي، سيراعلام النبلاء، 22/ 374

(4) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، 7/ 189

المصادر

القران الكريم

-ابن الاثير، عزالدين ابو الحسن (ت630هـ/ 1233م):

1-الكامل في التاريخ ت حقيق: عمر عبدالسلام ،ط1، بيروت، دار الكتاب العربي،1997م

-ابو اسحاق، ابراهيم الشيرازي (ت476هـ/ 1083م):

2-طبقات الفقهاء، تحقيق : احسان عباس، ط1، بيوت، دار الكتاب العربي،1970م

-الاصفهاني، عمادالدين ابو حامد(ت597هـ/ 1201):

3-البستان الجامع لجميع تواريخ اهل الزمان، تحقيق: عمرعبدالسلام، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 2002م

4-خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: محمد بهجت، ط1، بغداد، مديرية الثقافة، د.ت

-البنداري، الفتح بن علي (ت643هـ/ 1226م):

5- دولة ال سلجوق، ط1، مصر، شركة طبع الكتب العربية، 1900م

-البيروني، ابي الريحان محمد بن احمد (ت440هـ/ 1047م):

6- الاثار الباقية عن القرون الخالية،تحقيق:غسان داود،ط1،بيروت،دار الكتب العلمية،د.ت

-البيهقي، احمد بن الحسين بن علي (ت458هـ/ 1066م)

7- شعب الايمان، تحقيق:د. عبدالعلي عبدالحميد، ط1، الهند، مكتبة الرشد،2003م

-التادفي، عمر بن يحيى الحنبلي
8- قلائد الجواهر، د.ط،مصر
-ابن تغري بردي (ت874هـ/ 1469م):
9- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د.ط، مصر، دار الكتب، د.ت
-الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد (ت463هـ/ 1071م):
10- تاريخ بغداد، تحقيق: د.بشار عواد، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي،2002م
-ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج (ت597هـ/ 1201م):
11- تلبيس ابليس، ط1، بيروت، دار الفكر،2001
12- المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر، ط1، دار الكتب العلمية،1992م
-الحسيني، صدر الدين علي بن ابي الفوارس (ت622هـ/ 1225م)
13- اخبار الدولة السلجوقيه، تصيح، محمد اقبال، ط1، لاهور،1993م
-الحضرمي، ابو محمد الطيب بن عبدالله (ت947هـ/ 1540م):
14- قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر، ط1، جدة، دار المنهاج،2008م
-ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م):
15-تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، ط1، بيروت، دار الفكر،1988م
-ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد (ت681هـ/ 1282م):
16- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، بيروت، دار صادر،1994م.
-ابن خمارويه، شمس الدين محمد بن علي (ت953هـ/ 1546م):
17- انباء الامراء بانباء الوزراء، تحقيق: مهنا احمد، ط1، بيروت، دار البشائر،1998م
-الراوندي، محمد بن علي (604هـ/ 1208م):
18- راحة الصدور واية السرور، د.ط، القاهرة، المجلس الاعلى للثقافة،2005م
-الداوودي، محمد بن علي (ت945هـ/ 1583م):
19- طبقات المفسرين، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت
-الدواداري، ابو بكر عبدالله بن ايبك (توفى بعد 736هـ/ 1336م):
20- كنز الدرروجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين منجد
-الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد (ت748هـ/ 1347م):
21- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشارعواد، ط1، تونس، دار الغرب،200م
22- سير اعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط،ط3، مؤسسة الرسالة،1985م
23- العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية
-ابن رجب، زين الدين عبدالرحمن (ت795هـ/ 1393م):
24-ذيل طبقات النابله، تحقيق: د.عبدالرحمن بن سليمان، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان ،2005م
-الرفاعي، احمد بن علي بن احمد (ت578هـ/ 1182م):
25- الوصايا، تحقيق: د.محمد زينهم، د.ط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1993م
-ابن الساعي، علي بن انجب بن عثمان (ت674هـ/ 1275م):

26- الدر الثمين في اسماء المصنفين، تحقيق: احمد شوقي بنبين،ط1، تونس، دار الغرب،2009م
-السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي (ت 771هـ/ 1369م):
27- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد، ط2، هجر،1992م
-سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر (ت654هـ/ 1256م):
28- مراة الزمان في تواريخ الاعيان، ط1، دمشق، دارالرسالة،2013م
-الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت746هـ/ 1345م):
29- الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط، ط1، بيروت، دار احياء التراث،2006م
-صلاح الدين، محمد بن شاكر (ت764هـ/ 1363م):
30- فوات الوفيات، تحقيق: احسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر، 1974م
ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن (ت643هـ/ 1245م):
31- طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب،ط1، بيروت، دار البشائر،1992م
-العليمي، عبدالرحمن بن محمد (ت928هـ/ 1522م):
32- الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس، عمان، مكتبة دنديس،د.ت
-ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن احمد (ت1089هـ/ 1678م):
33- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط، ط1، بيروت، دار ابن كثير
-ابن العمراني،محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/ 1184م:
34- الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، ط1،القاهرة، دار الافاق العربية،2001م
-العمري، احمد بن يحيى (ت749هـ/ 1348م):
35- مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط1، ابو ظبي، المجمع الثقافي،2002م
-الغزالي، ابو حامد محمد بن محمد (ت505هـ/ 1111م):
36- احياء علوم الدين، ط2، بيروت، دار المعرفة، د.ت
37- التبر المسبوك في نصيحة الملوك، تحقيق: احمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب،1988
38- المنقذ من الضلال، تحقيق: عبدالحليم محمود، د.ط، مصر، دار الكتب الحديثة
-ابن الطقطقي، محمد بن علي طباطبا (ت709هـ/ 1309م):
39- الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، ت: عبدالقادر محمد، ط1، بيروت، دار القلم،1997م
-ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق (ت723هـ/ 1323م):
40- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية
-القرشي، عبدالقادر بن محمد بن نصر الله (ت775هـ/ 1373م):
41- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كراتشي، مير محمد كتب خانه
-ابن ماكولا، سعد الملك ابو نصر علي بن هبة الله (ت475هـ/ 1082م):
42- الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م
-المزي، جمال الدين ابوالحجاج يوسف (ت742هـ/ 1341م):
43- تحفة الاشراف بمعرفة الاطراف، تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، ط2، المكتب الاسلامي،

1983 م
-ابن المستوفي، المبارك بن احمد (ت637هـ/ 1239م):
44- تاريخ اربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس، العراق، دار الرشيد،1980م
-المقريزي، تقي الدين (ت845هـ/ 1440م):
45- المقفى الكبير، تحفيق: محمد اليعلاوي، ط2، بيروت، دار الغرب،2006م
-ابن مفلح، ابراهيم بن محمد بن عبدالله (ت884هـ/ 1497م):
46- المقصد الارشد في ذكر اصحاب الامام الاحمد، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان، ط1، الرياض، مكتبة الرشيد،1990م
-ابن الملقن، سراج الدين ابو حفص عمر (ت804هـ/ 1401م):
47-العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: ايمن نصر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية،1997م
-اليافعي، ابو محمد عفيف الدين عبدالله (ت768هـ/ 1366م):
48- مراة الجنان وعبرة اليقظان،ط1،بيروت،دار الكتب العلمية،1997م
-النويري،احمد بن عبدالوهاب بن محمد (ت733هـ/ 1333م):
49- نهاية الارب في فنون الادب، ط1، القاهرة، دار الكتب والوثائق،2002م

المراجع

-امين، حسين
50- تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ط1، بغداد، مطبعة الارشاد،1965م
-بسطامي، محمد سعيد خير
51- مفهوم تجديد الدين، ط1، جدة، مركز التأصيل للدراسات،2012م
-الخطيب، مصطفى عبدالكريم
52- معجم المصطلحات والالقاب التاريخية،ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة،1996م
-الصلابي، علي محمد
53- دولة السلاجقة وبروز مشروع اسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، بيروت، دار المعرفة،2006م
-الكيلاني، جمال الدين
54- كتاب الشيخ عبدالقادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، ط2، الولايات المتحدة الامريكية، دار الفكر،2041م
-الكيلاني، ماجد عرسان
54- هكذا ظهر جيل صلاح الدين،ط2،الامارات العربية المتحدة، دار القلم،2002م
-مصطاف،ثامر نعمان
55- الراي العام في العراق في العصر السلجوقي،ط1، دمشق، دار تموز،2012م

البحوث والمقالات

-جمعه، عكاب يوسف
56- المشروع السلجوقي لتوحيد الامة الاسلامية في عهد السلطان طغرلبك، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، العدد:3، 2012م
-السري، احمد علي
57- ابن الجوزي والوعظ السياسي، دورية كان التاريخية، عدد: 25، 2014م
-شايمو ياما
58- الدين والسياسة في الحقبة السلجوقية، مجلة دراسات استشراقية، عدد:11، 2017م.